الحالة السياسية في إقليم برقة خلال العصر الفاطمي

301 – 567 هـ - 913 – 1171م

دراسة تحليلية لمعرفة طبيعة الوجود الفاطمي في برقة وموقف البرقيين منه

د. عبد الفتاح رجب حمد
جامعة عمر المختار – كلية الآداب
قسم التاريخ

كانت مصر خاضعة للدولة العباسية يحكمها عدد من الولاة الذين يعترفون بخلافة بني العباس ، وقد سعى الفاطميون بعد أن أسسوا كياناً سياسياً في أفريقية منذ نهاية القرن الثالث الهجري أن يستولوا على مصر لأهميتها الحربية والاقتصادية وصلاحيتها كقاعدة للانطلاق نحو الحجاز وبلاد الشام ، والتوجه نحو تقويض الخلافة العباسية في بغداد[1] .

وبسبب موقع برقة القريب من مصر فإنها مثلت قاعدة أولى لتحقيق هذا الهدف الذي بدأ التنفيذ في عهد الخليفة الفاطمي المهدي[2] الذي أرسل قائده حباسة بن يوسف ، فضم سرت وأجدابية وبرقة إلى الفاطميين ، ونكل بمن عارض الحكم الفاطمي في إقليم برقة[3] ثم توجه هذا القائد إلى مصر بأمر من الخليفة الفاطمي الذي أردفه بحملة أخرى يقودها ابنه أبو القاسم ، وقد فشلت هذه الحملة من تحقيق أهدافها بسبب الإمدادات التي أرسلها الخليفة العباسي إلى مصر كما أن أهالي مصر وقفوا ضد الحملة الفاطمية التي تمت هزيمتها سنة 303 هـ / 915م[4] .

لما انسحب أبو القاسم بن المهدي من مصر مرّ على مدينة برقة ، وأصدر أوامره إلى أهلها ببنيان سور حولها[5] واستخلف عليهم رجلاً من بني كنانة ومعه حامية ، ثم توجه إلى إفريقية ، فما كان من أهل برقة إلا أن أعلنوا تمردهم وقتلوا أفراد الحامية وقائدها[6] ويتبين من ذلك تمسك أهل برقة بمذهبهم السني[7] ولم يلبث الخليفة المهدي الفاطمي أن أرسل حملة أخرى إلى مدينة برقة يقودها أبومدين اللهيص فحاصرها لمدة ثمانية عشر شهراً ، حتى سقطت في يده سنة 304هـ / 916م ، وظل والياً عليها حتى وفاته سنة 306هـ / 918م[8].

لا تمدنا المصادر التاريخية بأخبار عن إقليم برقة خلال الحكم الفاطمي بعد وفاة الوالي اللهيص إلا خلال ولاية الوالي أفلح الناشب الذي تولى أمور برقة خلال عهد الخليفة الفاطمي

المعز (341 – 365هـ / 952 – 975م) الذي استطاع أن يقمع ثورة بني قرة وبعض قبائل الأعراب[9] .

وجه الخليفة المعز الفاطمي عنايته إلى إقليم برقة فعين على مدنه الولاة[10] وأهتم بالمؤاني[11] وعندما عزم على المسير من إفريقية إلى مصر أصدر أوامره إلى ولاته في مدن إقليم برقة بحفر الآبار وبناء القصور ، في كل مراحل الطريق إلى مصر[12] وصحب معه إلى مصر فرقة البرقية المنسوبة إلى برقة[13] وترك المعز أفلح بن ناشب والياً على برقة ، والذي شهدت مدينة برقة في عهده بعض الإزدهار[14] .

تولى القائد يانس ولاية برقة بأمر من الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله الفاطمي سنة 388هـ / 998م وأراد أن يضم طرابلس ، غير أن قبائل صنهاجة فتمنعت من ذلك ، وكانت نهاية يانس على أيديهم سنة 391هـ / 1001م[15] .

أراد الخليفة الفاطمي الحاكم أن يعيد سيطرته على طرابلس فأرسل حملة عسكرية بقيادة يحيى بن علي وأمر بني قرة أن يسيروا معه ، وحيث أن هؤلاء لم يتعودوا على حياة الجندية ، كما أنهم تذمروا لعدم حصولهم على غنائم فقرروا الانسحاب[16] لم يغفر الحاكم ذلك لبني قرة ، فأستدعى عدداً من مشائخهم وقتلهم فنفرت عنه بنو قرة[17] .

ثورة أبي ركوة في برقة (395 / 397هـ - 1004 / 1006م) :

أشتهر في برقة رجل يسمى اباركوة[18] نزل في جوار بني قرة كان معلماً للصبيان يعلمهم القرآن الكريم ، اشتهر بذلاقة لسانه ، وحسن خلقه ، وكان ينسب نفسه إلى بني أمية[19] وأنه كان من الفارين من تعقب المنصور بن أبي عامر[20] في الأندلس ، وقد استغل سخط بني قرة وكراهيتهم للفاطميين فأخذ يدعو إلى تغيير المنكر من سب السلف من الصحابة على المنابر ، وزعم بأنه على علم بالعيبيات ، وانتحل شعراً نسبه إلى مسلمه بن عبد الملك بن مروان الأموي فيه نبوءة عن تملكه لمصر ، ووصف حالته :

وابن هشام قائم في برقة   به ينال عبد شمس حقه .

يكون في بربرها قيامه   وقرة العرب لها إكرامه .

كما أنه نظم اشعاراً تدعو إلى طلب المجد والثورة وعدم الإسكانة إلى الذل والخضوع ومنها قوله :

إن لم أجلها في ديار العدا   تملأ وعر الأرض والسهلا

فلا سمعت الحمد من قاصد   يوماً ولا قلت له سهلاً[21]

التفت قبيلة بني قرة العربية وقبيلتا لواته وزناتة البربريتين على نصرة أبي ركوة ، فقام بالإصلاح بين بني زناتة وبني قرة ، ولما وصل نبأ أبي ركوة إلى والي مدينة برقة صندل الأسود كتب إلى الحاكم يستأذنه في حربه ، فأمره بالكف عنه[22] ويبدو أن تحركات أبي ركوة في قرى برقة لأخذ البيعة لنفسه من أهلها جعلته يشعر بأن قوته كافية لإعلان الثورة[23] .

بدأ أبوركوة في شهر جمادي الآخر سنة 395هـ/1004م بالسيطرة على إقليم برقة ، ثم ضرب حصاراً على المدينة نفسها غير أنه لم يستطع دخولها لمناعة أسوارها ودفاع واليها وحاميته ، كما أن جزء من قبيلة لواته تحرك لمحاربة أبي ركوة ونجدة أهل مدينة برقة ، ويبدو أن تلك الأنباء وصلت إلى أبي ركوة في وقت مبكر فسار مسرعاً لمقاتلتهم ، وهزمهم عند موضع يسمى أسقفه وهرب الباقون منهم إلى شعب الجبال[24] .

عاد أبوركوة إلى مدينة برقة بعد أن قمع حركة قبيلة لواته ، واستمر في حصارها ، وضيق على أهلها الخناق لمدة خمسة أشهر ، فقرر الحاكم بأمر الله أن ينجد واليه على برقة فأرسل إليه حملة بقيادة اينال التركي ، فرفع أبوركوة حصاره على مدينة برقة ، وانطلق لملاقاة حملة إينال واتخذ بعض التدابير التي تدل على معرفته لطبيعة الأرض بين برقة ومصر إذ أرسل ألف فارس ، وأمرهم بالمسير إلى جيش إينال في ذات الحمام[25] وأن يناوشوه ثم ينسحبوا في طريق عودتهم يقومون بتغوير الآبار التي على الطريق ، ولما انسحب جند أبوركوة إليه قرر المسير على رأس قواته ، ولقى جيش إينال المنهك من العطش وطول الطريق في موضع يسمى عيون النظر ، ورغم البسالة التي أبداها إينال إلا أنه وقع في الأسر بعد أن تخلى عنه أغلب جند حملته من كتامة ، واستأمنوا من أبي ركوة بسبب ما لحقهم من الأذى من الحاكم بأمر الله[26] .

عندما وصلت أنباء هذه الهزيمة إلى والي برقة صندل الأسود قرر مغادرة المدينة إلى مصر بسبب ما تعانيه من قلة المؤن فخرج إلى مصر عن طريق البحر ومعه حاميته[27] .

نال أبوركوة بعد هذه الانتصارات مكانة مميزة في برقة[28] وأصبح صاحب الأمر والنهي فدعا إلى مذهب السنة وتلقب بأمير المؤمنين الناصر للدين الثائر لله ، ونقش ذلك على عملته التي سكها ببرقة[29] .

بدأ أبوركوة في التخطيط للشروع بالزحف نحو مصر[30] فكتب أوامره بأنه سيقطع بني قرة بعض الجهات في مصر مثل المحلة وتنيس ، ثم جدد البيعة لنفسه ، وأنطلق بجيشه نحو مصر ، والتقى بالجيش الفاطمي الذي كان يقوده فضل بن صالح في ذات الحمام ربيع الأول 396هـ / 1005م ، وانتهت المعركة لصالح أبي ركوة وغنم أتباعه السلاح والمال[31].

تخوف الحاكم بأمر الله من صدى انتصارات أبي ركوة على الجيش الفاطمي بين المصريين فعمد إلى تغيير سياسته ويقول ابن الأثير عن ذلك : "أهمته نفسه وملكه وعاود الإحسان إلى الناس والكف عن أذاهم"[32] .

يرى المقريزى أن دخول أبي ركوة إلى مصر كان بتدبير من الحاكم ، لكي يستدرجه ، ويتم القضاء عليه بسهولة وبشكل سريع ، إذ أمر قادته بأن يكتبوا إلى أبي ركوة يعلموه بأنهم على رأيه ، ويدعونه إلى القدوم لتخليصهم من ظلم الحاكم ، فلما تواترت الرسل من مصر على أبي ركوة انطلت عليه الحيلة فحشد قواته وسار إلى مصر[33] .

دفعت الانتصارات التي حققها أبوركوة على الجيوش الفاطمية الحاكم بأمر الله الفاطمي إلى الاعتماد على عناصر متعددة في الجيش للقضاء على هذه الحركة بسبب تخاذل فرق بني كنانة ، ولهذا فقد قام بإدخال فرق من السودان والترك والديلم والأرمن للجيش الفاطمي[34] كما أنه استقدم القادة والجند من بلاد الشام فحضرت إليه مجموعات كبيرة ، وولى عليهم المفرح بن دغفل الطائي[35] .

بدأ أبوركوة في قتاله للفاطميين في معركة مباشرة عند كوم شريك[36] وقتل فيها أعداد كثيرة من الجانبين ورأى الفضل بن عبد الله قائد الجيش الفاطمي أن يستميل قادة أبي ركوة ، حتى يعلم ما يدبره ابوركوة ، ووجد مراده في القائد القرى أبي ماضي الذي أخذ يعلمه بخطط وتدبير أبي ركوة[37] .

ولقد وقع أبوركوة في خطأ فادح عندما خرج من معقله في برقة ووسع ميدان القتال مع الفاطميين ، مما أدى إلى بعثرة قواته التي مهما بلغت كثرتها فإنها لا يمكن أن تكون مجال من الأحوال مثل قدرة وكفاءة الجيوش المدربه في مصر والشام .

بدأ موقف أبوركوة يسير نحو الضعف بعد أن كانت خططه تصل تباعاً إلى قائد الجيوش الفاطمية فتمت هزيمته ، وثبط أبوماضي بني قرة عن نصرته ففر إلى النوبة في ذي القعدة 396هـ / 1005م إلى أن قبض عليه ملكها روفائيل وسلمه للفاطميين ، ولم تجد استجداءاته وأشعاره شيئاً من أجل العفو عنه ، وتم قتله في جمادي الآخرة سنة 397هـ / 1006م [38] .

حالة برقة السياسية بعد القضاء على ثورة أبي ركوة :

ظلت برقة خالية من أي شكل من أشكال الحكم المباشر للفاطميين حتى بعد القضاء على حركة أبي ركوة إذ لا تذكر المصادر التاريخية وجود ولاة معينون من قبل الفاطميين إنما تناوبها عدد من زعماء صنهاجة وبني قرة والذين تفاوتت درجة ولائهم لدولة الفاطميين .

تختلف الآراء حول المعاملة التي عامل بها الفاطميون بني قرة بعد دحرهم لثورة أبي ركوة ، لاسيما أن بني قرة قد وقفوا مع هذا الثائر ضد دولتهم ، فأبن خلدون يورد خبرين متناقضين عن موقف الحاكم بأمر الله من وقوف بني قرة مع أبي ركوة في ثورته ، ففي الأول يذكر أن الحاكم بأمر الله عفا عنهم ، أما في الثاني فيذكر أن الحاكم أرسل إلى بعض مشايخ بني قرة بالأمان للمجئ إلى القاهرة ثم قتلهم[39] .

فسر الدكتور إحسان عباس ما ذكره ابن خلدون على أن الخيرين غير متناقضين لأنهما وقعا في زمنين متباعدين[40] ويرى الباحث كذلك إلى أن عفو الحاكم عن بني قرة بسبب الجهود التي بذلها الشيخ ماضي بن مقرب في تثبيط قبيلته عن نصرة أبي ركوة[41] غير أنه يبدو أن جزء من بني قرة لم يكن راضياً عن الفاطميين ، بسبب ما قام به هؤلاء من قتل لبعض زعمائهم[42] كما أن الرغبة في السلب والنهب كانت جامحة لدى هؤلاء الأعراب ، ولاسيما بعد أن خابت آمالهم بعد هزيمة أبي ركوة إذا استولوا في سنة 402هـ / 1011م على هدية أرسلنها باديس بن المنصور إلى الحاكم ، ولم يكتفوا بهذا بل زحفوا على مدينة برقة ففروا واليها عن طريق البحر إلى مصر[43] .

أرسل الحاكم بأمر الله الفاطمي قوات من العرب والجيوش لإعادة سيطرته على بني قرة ، ولكنها لم تستطع فرض هيمنتها عليها فرأى الحاكم بسبب انشغاله باضطرابات بلاد الشام أن يعهد بولاية برقة إلى باديس بن المنصور الصنهاجي ، فأرسل إليه سنة 403 هـ/1012م هدايا قيمة وسجل بإضافة برقة وأعمالها إليه ، الأمر الذي لم يرق لبني قرة أذ كيف يولى الحاكم برقة لأمير بربري ، وهي منطقة بخلاف مناطق المغرب الأخرى تكتظ بعدد من القبائل العربية والتي تعد قبيلة بني قرة من أكثرها عدداً وذلك حسب رأي الباحث .

استمر بنو قرة في إعلان عدائهم للفاطميين ، وذلك بالاستيلاء على الهدايا المتبادلة بين المعز والحاكم ، ففي سنة 405هـ / 1014م بعث باديس بن المنصور بهدية قيمة إلى الحاكم بأمر الله تتكون من مائة فرس بسروح محلاة ، وثمانية عشر حملاً من الخز والسمور والثياب السوسية وعشرين وصيفة وعشرين فتى من الفتيان الصقالبه ، ومعها هدية من أخت باديس إلى أخت الحاكم ، ووضعت هذه الهدايا في مركب تحت إشراف يعلي بن فرج ، فلما رسا المركب في برقة هاجمته قبائل بني قرة ، واستولت على جميع ما فيه ، وبذلك تكون قد أعلنت تحديها لباديس والخليفة الفاطمي على السواء [44] .

وقد حدد القريزي موضع نهب هذه الهدية بشكل أكثر وضوحاً إذ يذكر ذلك في حوادث سنة 405 / 1014م : "وفيها بعث نصير الدولة أبومناد باديس من إفريقية هدية

عظيمة إلى الغاية للحاكم بأمر الله ، فوصلت إلى مدينة برقة لأربع عشرة من رجب وسارت منها سابع رمضان حتى وصلت لك[54] فأخذها بنو قرة عن آخرها[46] .

ولا يستبعد الباحث أن تكون قبيلة زناته البربرية في برقة قد ساندت حليفتها القديمة بني قرة في تمردها ضد الفاطميين والصنهاجيين وعلى الرغم من صمت المصادر التاريخية على تفضيل ذلك إلا أن بعضها قد أشار إلى أن العرب الهلالية لما دخلوا برقة وجدوها خالية – أي قليلة السكان – لأن أهلها من زناته قد أبادهم المعز بن باديس ، ولا يستبعد الباحث أن ذلك قد تم بعد أن تضامن بنو زناته مع بني قرة في رفض تبعية برقة للصنهاجين[47] .

استمر تحكم بني قرة في أمور ولاية برقة ، وكان شيخهم مختار بن القاسم قد حاول التقرب من الفاطميين عندما سعى في القبض على أحد الثوار عليهم ، والذي لجأ إلى جوار شبل القرى أحد مشايخ بني قرة ، ولما طلب منه مختار بن القاسم أن يسلم إليه ضيفه رفض شبل ذلك ، مما أدى إلى نشوب المعارك بينهما[48] ومن خلال ما ذكره المقريزي[49] والمسبحي[50] يبدو أن برقة كانت ملاذاً للفارين من تعقب الفاطميين في مصر إذ نجد أن رفاق الشريف الحسيني المتهم بتدبير اغتيال الحاكم بأمر الله قد لجأ بعضهم إلى الهروب نحو برقة[51] .

ظل مختار بن القاسم هو المتصرف في شؤون برقة حتى سنة 420هـ / 1029م ، ثم خلفه ماضي بن مقرب ، الذي ربما يكون قد نال هذه الزعامة برضي من الفاطميين لأنه كان قد قدم لهم خدماته التي سهلت القضاء على حركة أبي ركوة[52] .

لم تدم زعامة ماضي بن مقرب على بني قرة طويلاً[53] ، لأن أغلبهم كانوا يضمرون العداء والكراهية للفاطميين[54] فانتقلت رئاستهم لجبارة بن مختار الذي سرعان ما قطع تبعيته للفاطميين ، بعد أن سمع بخلع المعز بن باديس لطاعتهم ، وأرسل إلى المعز بن باديس بإفريقية بالسمع والطاعة ، ويعلمه بأنه هو وأهل برقة قد أحرقوا رايات العبيديين ، ولعنوهم على المنابر التي كانوا يخطبون عليها كما أنهم دعوا للخليفة العباسي القائم بأمر الله ، وذلك في سنة 443هـ / 1001م[55] .

تعرض اتباع المذهب الشيعي للمضايقة ، والقتل ، ومصادرة الأملاك في أفريقية في عهد المعز بن باديس منذ عام 407هـ / 1016م ، إلا أن الخلفاء الفاطميين تغاضوا عن ذلك ، واستمروا في إرسال هداياهم إلى المعز بن باديس[56] .

ولذا فإن الباحث يرى أن هذه القطيعة المذهبية لم تكن السبب المباشر للسماح لبني هلال ومن معهم من العرب بالمسير إلى برقة وأفريقية وإمتلاكها ، وأن سوء مخاطبة المعز بن باديس وإلى إفريقية للوزير الفاطمي اليازوري لا تكفي وحدها لتتحرك هذه الجموع

البشرية ، وللأسف فإن المصادر التاريخية قد كررت هذا السبب وجعلت منه سبباً أساسياً لهذه الهجرة[57] لأنه من غير المقنع أن تقوم دولة كدولة الفاطميين بسبب خصام كلامي بين أحد وزرائها وأحد ولاتها بإرسال بدو بني هلال وبني سليم لاسيما وأن دولة الفاطميين كانت تحدق بها الأخطار الخارجية والداخلية ، المتمثلة في ظهور خطر السلاجقة السينين ، ومكائد الخلفاء العباسيين وضعف شخصية الخليفة الفاطمي المستنصر واستبداد الأمراء في عصره ، فكان من الأجدى أن تكون ردة فعل الخلافة الفاطمية أن ينحى هذا الوزير ، وتتم ترضية المعز بن باديس[58] لذا فإنه من الناحية المنطقية كان على الباحث أن يسير أغوار المصادر التاريخية للبحث عن أسباب أخرى لهذه الهجرة ، ففي برقة نجد خروج أهلها من بني قرة وزناتة عن طاعة الفاطميين بداية بإنضمامهم إلى حركة أبي ركوة ومناصرتهم له[59] ثم نهبهم للهدايا الواصلة والمرسلة إلى الفاطميين التي تمر بأراضي برقة[60] واهتمامهم على أن تضاف برقة لأعمال المعز بن باديس الصنهاجي ، فزحفوا عليها مما اضطر واليها إلى الفرار عبر البحر إلى إفريقية[61] كما أن برقة أصبحت ملاذاً وملجأ للهاربين من ملاحقة الفاطميين في مصر[62] ويعد العامل الاقتصادي من أهم عوامل ظهور هذا الحدث ، إذ أن فترة حكم المستنصر الفاطمي 427 – 487هـ / 1035 – 1094م كانت في معظمها تتسم بالاضطرابات الاقتصادية والأوبئة[63] .

وكانت القبائل العربية من بني هلال وبني سليم ومن معهم من القبائل التي أسكنها الفاطميون شرق النيل مصدر قلق وفوضى ، ويعزو الباحث ذلك إلى قلة المراعي في تلك المنطقة وشدة جفافها وهي بالتالي لا تشكل سكناً ملائماً لتلك الأعداد الهائلة من الأغراب وعائلاتهم وأنعامهم .

وللدلالة على أهمية هذا العامل الاقتصادي في حدوث هذه الهجرة فإنه بمجرد وصول الدفعة الأولى من القبائل المهاجرة إلى أراضي برقة كتبوا إلى إخوانهم بالقدوم وعن ذلك يقول ابن سعيد : "أنهم وحدوا بلاداً في نهاية الخصب ولالهم فيها ناه ولا مزاحم بل جميعها بحكمهم حيثما شاورا وتوجهوا فانثال من لقب من الغرب بمصر على المسير إلى إفريقية[64] .

من أجل أن تتخلص دولة الفاطميين من الأعباء المترتبة على إقامة هؤلاء البدو في مصر فإنها حفزتهم على التوجه غرباً[65] .

وافق المستنصر الفاطمي على رأي وزيره اليازوري الذي قام في سنة 441هـ / 1049م بزيارة القبائل العربية في مواقعها بصعيد مصر ، وازال ما بين زغبه ورياح من مشاكل ، بسبب الحروب التي كانت قد شبت بينهم من قبل ، ومنح رؤساء هذه القبائل أموالاً جزيلة ، وأعطى عامة القبائل بعيراً وديناراً لكل واحد منهم ، وسمح لهم باجتياز النيل غرباً

وقال لهم على لسان سيده المستنصر : "قد أعطيتكم المغرب وملك المعز بن باديس الصنهاجي العبد الآبق فلا تفتقرون"[66] وكتب إلى المعز مهدداً ومتوعداً بقوله : "أما بعد ، فقد أرسلنا إليكم خيلا فحولا ، وحملنا عليها رجالاً كهولاً ، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً"[67] .

اجتازت القبائل العربية نهر النيل ، واستمرت في سيرها عرباً حتى وصلت برقة التي إستقرت فيها بعضاً من الوقت ومنها كتبوا إلى إخوانهم بمصر بضرورة اللحاق بهم ، ويغرونهم بخصب مراعيها فلحقهم من بقى منهم في مصر[68] .

لن يتطرق هذا البحث للحديث عن تفاصيل تطور الأحداث التاريخية التي نبحث عن تدهور العلاقة بين الفاطميين وبني زيرى الصنهاجين من إفريقية ودور بني هلال هناك لبعدها المكاني على حدود الإقليم[69] .

يرى الباحث بأن إقليم برقة شهد تقلصاً في حكم الولاة بداية من حركة أبي ركوة سنة 395هـ / 1004م وبداية في ظهور حكم وهيمنة القبيلة ، وقد تناوب بنو قرة مشيخة برقة حتى حدوث هجرة بني هلال وبني سليم ووصولهم إلى برقة ، فأثر بنو قرة أن يهاجروا مع قومهم من بني هلال إلى إفريقية ، وصمتت المصادر التاريخية عن أسباب ترك بني قرة لبرقة ، هل كان ذلك بناءً على الاتفاق الذي تم بين القبائل على أن تكون برقة وطرابلس لبني سليم وإفريقية لبني هلال فكان لزاماً على بني قرة أن يغادروا برقة مع بني قومهم من الهلاليين إلى بلاد إفريقية[70] .

يرجح الباحث أن يكون بنو قرة قد رأوا الابتعاد عن برقة لقربها من أعدائهم التقليديين في مصر ، ولاسيما في ظل هذه الظروف الجديدة .

لم يقم بني سليم بتكوين كيانات سياسية في برقة ، لتمسكهم بطابع حياتهم البدوي والرعوي ، وعاشوا في تجمعات رعوية تقوم على رعي الماشية ، وزراعة بعض المحاصيل التي تعتمد على مياه الأمطار ، كما هيمنوا على القبائل العربية التي سبقتهم إلى برقة منذ عصر الفتح ، وعلى البربر القاطنين ببرقة ، وعلى اليهود المقيميين في بعض المواني البرقية مثل طلميثة ودرنة[71] .

كما أن هجرة بني سليم إلى برقة زادت من عزلتها السياسية ، فعلى الرغم من أن هذه القبائل قد استوطنتها بمباركة الفاطميين ، وهي بالتالي كانت تحت تبعيتهم إلا أنها كانت تبعية اسمية ، وذلك ما نستشفه من خلال المصادر التي تطرقت إلى بعض الأحداث في برقة ، إذ أنها كانت ملجأ للأفراد والجماعات الهاربة من تعقب الفاطميين في مصر ، فعندما نشب القتال في البحيرة بين بني قرة والطلحيين ضد الفاطميين في سنة 443هـ / 1051م جرد إليهم الوزير اليازوري الجيوش ففروا إلى برقة وتركوا البحيرة[72] .

ويذكر المؤرخ ابن ميسر أن مجموعة من قبائل الأعراب احدثوا شغباً بناحية البحيرة سنة 469هـ / 1076م مستغلين غياب بدر الدين الجملاي لمهمة عمل في أسوان ، غير أن بدر الدين لم يلبث أن عاد وقام بطرد المشتركين في هذا الشغب من قيس وسليم إلى برقة[73] .

كما أنه في خلال الأزمة التي حدثت بعد وفاة الخليفة الفاطمي المستنصر على من يتولى الخلافة ، أراد الوزير الأفضل بن بدر الجمالي أن يلي الخلافة القاسم أصغر أولاد المستنصر ، ولقبه بالمستعلي ، بدلاً من الابن الأكبر نزار ، وحاول الوزير أن يفرض رأيه على كبار رجال الدولة [74] ، غير أن نزار رفض الاعتراف بسياسة الأمر الواقع ، خرج إلى الإسكندرية وبرفقته أخوة عبد الله والأمير محمود بن مصال النكي ، وقد وقف والي الإسكندرية ناصر الدين افتكين إلى جانب الأمير نزار وبايعه بالخلافة ، فخرج الأفضل على رأس جيشه لمحاربة هذا الحلف وذلك في محرم سنة 488هـ / 1095م ، إلا أن الهزيمة سرعان مالحقت به ، فانسحب إلى القاهرة وشرع في إعادة تنظيم صفوفه ، ويبدو أنه استغل الدعاية في أنه يعد حامياً ومدافعاً عن الخليفة الشرعي القائم في الحكم ، وهذا ما جعلهم يشتركون معه في ضد هجوم نزار على القاهرة ، وأراد الأفضل استغلال هذه الظروف ، فسار على رأس قواته في أثر جيش نزار ، وأنزل بهم الهزيمة بالقرب من الإسكندرية ، واضطر نزار واتباعه إلى الرجوع إلى الإسكندرية فتبعه الأفضل ، وقام بتشديد الحصار على المدينة ، ولما رأى محمود بن مصال النكي شدة هذا الحصار فر إلى جهة برقة في ثلاثين مركباً ، ونزل في بلدة لك سنة 488هـ / 1095م وتمكن الأفضل من القبض على القائد امتكين والأمير نزار وقام بقتلهما ثم توالت كتب الأفضل إلى محمود بن مصال في لك يعلن له الأمان ، فرجع ابن مصال إلى القاهرة ، ثم رضي عنه الأفضل وأكرمه[75] .

نستخلص مما سبق عدم وجود سلطة حقيقية للفاطميين من إقليم برقة في تلك الفترة ، إذ لو كان لهم أي نوع من النفوذ الحقيقي لتمت محاربة محمود بن مصال اللكي فيها .

الهوامش :

(1) حسن إبراهيم حسن : الفاطميون في مصر ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1932 ، ص 81 .

(2) افنتيوس (المكني بعيد بطريق) التاريخ المجموع ، الآباء اليسوعيين ، بيروت ، 1909م ، ص 79 ، 80 .

(3) محمد بن يوسف الكندي ، الولاة والقضاة ، بيروت ، 1908 ، ص 286 ، 287 . محمد بن عذارى ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج1 ، دار صادر ، بيروت ، 1950م ، ص 235 - 236 .

(4) ابن عذاري ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 236 .

(5) في هذا دلالة على تخوف أبي القاسم من قدوم جيوش مصرية لاستعادة برقة ولو تم ذلك وزودت بحامية قوية من مصر لأمكن استرجاعها من أيدي الفاطميين .

(6) ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 239 ، محمد بن أحمد الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج10 ، تحقيق شعيب الارنؤوط ، أبراهيم الزئبق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1984م ، ص 84 .

(7) صالح مصطفى مفتاح ، ليبيا منذ افتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر ، الشركة العامة للنشر ، بيروت ، 1978م ، ص 147 .

(8) ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 241 ، 244 ، 254 .

(9) إدريس عماد الدين ، تاج الخلفاء الفاطميين ، تحقيق محمد البعلاوي ، دار العرب الإسلامي ، بيروت ، 1985م ، ص 671 .

(10) ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس ، دار المسيرة ، بيروت ، 1993 ، ص 61 ، أبو علي منصور الجودزي ، سيرة الأستاذ جوزر ، تحقيق محمد كمال حسين ، الفكر العربي ، القاهرة ، 1954م ، ص 95 .

(11) محمد بن منصور النعمان ، المجالس والمسايرات ، تحقيق الحبيب الفقي ، دار المنتظر ، بيروت ، 1996م ، ص 445 ، إدريس عماد الدين ، مرجع سابق ، ص 653 .

(12) ابن أبي دينار ، مرجع سابق ، ص 81 ، لسان الدين من الخطيب أعمال الإعلام ، تحقيق أحمد مختار العبادي ، محمد إبراهيم الكتاني ، الدار البيضاء ، 1964م ، ص 59 .

(13) أحمد بن علي المقريزي ، اتعاظ الخلفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، ج2 ، تحقيق جمال الدين الشيال ، لجنة أحياء التراث ، القاهرة ، 1991م ، ص 181 .

(14) المصدر السابق ، ج1 ، ص 249 .

(15) محمد بن عبد الله التجاني ، رحلة التجاني ، المطبعة الرسمية ، تونس ، 1958 ، ص 182 .

(16) علي بن محمد بن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج9 ، دار صادر بيروت ، 1995م ، ص 177 ، المقريزي ، مرجع سابق ، ج2 ، ص 34 .

(17) ابن عذاري ، مصدر سابق ، ج1 ، ص 286 ، عبد اللطيف محمود البرغوثي ، تاريخ ليبيا الإسلامي ، دار صادر ، بيروت ، 1973م ، ص 249 .

(18) الركوة : أناء صغير من جلد يشرب فيه الماء . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، 1956م ، ص 333 .

(19) يختلف المؤرخون في تحديد نسب أبي ركوة إلى بني أمية فابن الأثير يرى بأنه من ولد هشام بن عبد الملك بن مروان . انظر : الكامل ، ج9 ، ص 139 .
ويذهب الأنطاكي إلى أنه من ذرية عثمان بن عفان رضي الله عنه . أنظر : تكملة سعيد بطريق ، الآباء السيوعيين ، بيروت ، 1908 ، ص 188 .
أما المقريزي فيقول : (يقال : إنه ولد رجل من موالي بني أمية) أنظر : اتعاظ الحنفا ، ج2 ، ص 66 .

ويرى محمد عنان أن أبا ركوة ما هو إلا دعى وليس بأموي وإنما أراد أن يخلق لنفسه قاعدة اجتماعية وسياسية تمكنه من الوصول إلى الحكم شأنه في ذلك شأن بعض طالبي السلطة في عصره . انظر : الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، 1959م ، ص 186 .

(20) المنصور بن أبي عامر المعافرى : قدم إلى غرناطة لتلقي العلم ثم نال حظوة عند صبح أم هشام المؤيد الأموي فجعلته وصياً على ولدها فحجر عليه وصار المتصرف في أمور الدولة وقضى على مناوئيه وتوسع في الفتوحات في بلاد الفرنجة ومات سنة 393هـ / 1002م . أنظر : ابن الأثير ، الكامل ، ج9 ، 176 .

(21) أحمد بن محمد المقرى ، نفح الطيب في غص الأندلس الطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، ج2 ، تحقيق أحسان عباس ، بيروت ، 1986م ، ص 658 .

(22) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج9 ، ص 198 .

(23) المقريزى ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 60 ، 61 .

(24) يحيى بن سعيد الأنطاكي ، مصدر سابق ، ص 188 .

(25) ذات الحمام : هي الحمام الحالية التي تقع غرب مدينة الإسكندرية بنحو 70كم . أنظر : محمد رمزي ، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، 1994م ، ص 64 .

(26) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج9 ، ص 199 ، الأنطاكي ، مرجع سابق ، ص 199 .

(27) الأنطاكي ، مصدر سابق ، ص 189 .

(28) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ص 199 ، الأنطاكي ، مرجع سابق ، ص 189 .

(29) الأنطاكي ، مصدر سابق ، ص 189 .

(30) المصدر السابق ، ص 190 .

(31) المقريزى ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 62 ، 63 .

(32) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ص 9 ، ص 200 .

(33) أنظر إتعاظ الحنفا ، ج2 ، ص 190 .

(34) الأنطاكي ، مصدر سابق ، ص 190 .

(35) المقريزى ، مصدر سابق ، ح2 ، ص 62 .

(36) كوم شريك ، اسم لموضع قرب الإسكندرية ، أنظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص 495 .

(37) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج9 ، ص 199 .

(38) المقريزى ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 64 ، 65 ، ابن عذارى ، مصدر سابق ، ج1 ، ص 371 ، ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج9 ، ص 202 ، عطية القوصى ، تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، دار المعارف ، القاهرة ،1981م ، ص 53 – 54 .

(39) عبد الرحمن بن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر (تاريخ ابن خلدون) ، ج6 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1968 ، ص 37 .

(40) إحسان عباس ، تاريخ ليبيا منذ الفتح المصري حتى مطلع القرن التاسع الهجري ، دار صادر بيروت ، ط1 ، بيروت ، 1967م ، ص 125 .

(41) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج9 ، ص 199 .

(42) المقريزى ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 51 .

(43) المصدر السابق ، الجزء نفسه ، ص 92 .

(44) ابن عذارى ، مصدر سابق ، ج1 ، ص 362 .

(45) لك : مدينة إسلامية ترجع إلى العصر الفاطمي تقع إلى الشرق من مدينة طبرق بمسافة 120كم واشتهرت كمرسى بحري للسفن ، أنظر : فضل علي محمد ، مدينة مرسى لك والمدن القديمة والمواني البحرية في المرمريكا ، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الثاني ، مركز الجهاد ، طرابلس ، 1997م ، ص 91 .

(46) المقريزى ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 111 .

(47) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج9 ، ص 567 ، المقريزى ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 111 .

(48) عز الدين محمد المسبحي ، تاريخ المسبحى ، ج4 ، تحقيق أيمن فؤاد سعيد ونيازي بيانكي ، المعهد الفرنسي للأثار الشرقية ، القاهرة ، د.ت ، ص 28 .

(49) أنظر اتعاظ الحلفاء ، ج2 ، ص 104 .

(50) أنظر المسبحي ، مصدر سابق ، ج4 ، ص27 .

(51) المسبحى ، ج4 ، مصدر سابق ، ص 27 ، المقريزى ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 140.

(52) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج9 ، ص 201 .

(53) المسجى ، ج4 ، مصدر سابق ، ص 48 .

(54) عن ذلك يذكر ابن ميسر أنه عندما قام الوزير اليازوري سنة 443 ، 1051م بتوليه مقرب بن ماضي على بني قرة المقيميين بالبحيرة ، رفضوا ذلك ، وشقوا عصا الطاعة ، فحاربهم اليازوري ولجأ جزء منهم إلى برقة .

انظر : تاج الدين محمد بن ميسر ، المتقي من أخبار مصر ، تحقيق حمد فؤاد سيد ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، 1978م ، ص 12 .

(55) ابن ميسر ، المصدر السابق ، ص 12 ، 13 .

(56) ابن عذارى ، مصدر سابق ، ج1 ، ص 388 ، المقريزى ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 115 .

(57) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج8 ، ص 55 ، ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج6 ، 26 .

(58) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج6 ، ص 29 .

(59) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج9 ، ص 198 .

(60) القريزى ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 92 ، ابن عذارى ، مصدر سابق ، ج1 ، ص 375 .

(61) المقريزى ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 111 .

(62) ابن ميسر ، مصدر سابق ، ص 12 .

(63) جمال الدين يوسف بن تفرى بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج5 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1970 ، ص 79 – 80 .

(64) أنظر : النجوم الزاهرة في حلى القاهرة ، تحقيق حسن نصار ، مطبعة دار الكتاب ، القاهرة ، 1970م ، ص 79 – 80 .

(65) وذلك ما لخصه الوزير اليازورى في قوله : "إن صدقت المخيله في ظفرهم بالمعز وصنهاجة كانوا أولياء للدعوى وعمالاً بتلك القاصية ، وارتفع عدوانهم عن ساحة الخلافة ، وأن كانت الأخرى فلها ما بعدها ، وأمر العرب البادية أسهل من صنهاجة الملوك ، انظر ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج6 ، ص 14 .

(66) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج6 ، ص 31 .

(67) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج8 ، ص 296 ، التجاني ، مصدر سابق ، ص 19 .

(68) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج9 ، ص 296 .

(69) حول معرفة تلك الأحداث ، انظر : مجهول ، إنسان العيون ، مخطوط بالهيئة المصرية العامة ، رقم 919 ، ورقة 420 ، ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج6 ، ص 456 ، ج9 ، ص 427 ، 451 ، 456 ، 477 ، 529 ، ابن عذارى ، مصدر سابق ، ج1 ، ص 295 ، 296 ، 392 ، محمود إسماعيل عبد الرازق ، المالكية والشيعة بأفريقية إبان قيام الدولة الفاطمية ، المجلة التاريخية المصرية ، 23 ، 1976م ، ص 85 – 93 ، أحمد مختار العبادي ، سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، صحيفة المعهد العربي للدراسات الإسلامية ، 1957م ، ص 66 ، المقريزى ، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، مكتبة الثقافة ، القاهرة ، 1999م ، ص 13 – 14 .

(70) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج8 ، ص 91 .

(71) عبد الفتاح رجب حمد ، تاريخ برقة الإسلامي في الفترة من القرن الخامس حتى الرابع الأول من القرن العاشر الهجري ، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية ، طرابلس ، 2009 ، ص 60 .

(72) المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، ج2 ، ص 218 .

(73) أنظر المنتقى ، ص 44 .

(74) المقريزى ، مصدر سابق ، ج3 ، ص 11 – 12 .

(75) ابن ميسر ، مصدر سابق ، ص 35 – 37 ، المقريزى ، مصدر سابق ، ج3 ، ص 13 – 14 .